الأبعاد التربوية لمشروع حقيبة التربية البيئية في المدرسة الجزائرية
قراءة سوسيوتربوية في المضمون

الدكتور: بلال بوترعة، جامعة الوادي، الجزائر

الملخص:

تجتهد النظم التعليمية في العالم إلى إعداد الأفراد وتأهيلهم لمواكبة التطورات والمستجدات الحديثة في كل المجالات، وذلك من خلال إكسابهم معارف ومهارات نفعية يمكنهم توظيفها بشكل إدماجي في المدرسة ومن ثم في المجتمع.

في خطوة مسؤولة وواعية بأهمية البيئة في الجزائر ودور المواطن في حفظها لحماية الحياة وإستمراريتها، فإن المشرع المدرسي جعل من التربية البيئية محور اهتمام وبعدا للدرس في المنظومة التعليمية الرسمية وإن توزع هذا الانشغال على غير ما نشاط تربوي، فإنه يظل من السبق التشريعي والغاية الرسمية، وليس مشروع الحقيبة البيئية سوى من نوع السعي المؤسساتي المقصود.وهو مشروع مشترك بين وزارة التربية الوطنية ووزارة البيئة بهدف تكوين مواطن يحمل القيم البيئية التي تجعل منه يعيش وفق النظام البيئي ويتفاعل مع مكوناته بيسر وتناغم وانسجام.

Abstract:

Educational systems around the world strive to prepare and rehabilitate individuals so that they are aware of new developments in all areas, providing them with knowledge and skills that they can use in an integral way at school, Then in society.

In a responsible and conscious step towards the environment in Algeria and the role of the citizen in protecting it for the preservation and continuity of life, the school legislator has given a major importance to environmental education in the official education system.

Although the distribution of this concern on so many educational activities, it remains of the legislative precedence, and the project of the environmental bag is only a form of institutional quest solicited.

It is a joint project between the Ministry of National Education and the Ministry of the Environment to train a citizen carrying the environmental values that make him live according to the eco-system and interacts easily and in harmony with its components.

مقدّمة:

إن تعاظم نهم الإنسان و نهب الثروة الذي ارتبط بوضوح مع كل اكتشاف جديد لخيرات البيئة الطبيعية حول العلاقة بين الإنسان والأرض إلى علاقة استغلال يمارس فيها الإنسان مهمة الظفر بالربح الاقتصادي في وجهة براغماتية جشعة لا يعلو في سلم أخلاقها عن الربح أي قيمة أخرى، وفي ظل هذا المسعى الاستعماري المحموم يمكن تفسير تجارب رقان النووية وآثارها على الإنسان والطبيعة.

وعلاقة المجتمع بالأرض من الأزل علاقة محكومة بعوامل التاريخ ومستوجبات البقاء حتى وإن كانت صناعة القوة التكنولوجية التدميرية هي الوسيلة إذ في الأحداث والحروب الكونية ما يدل على استعداد غير قابل للإخفاء للحرب والقتل والتدمير، إن بدا لسلة هذا المجتمع أو ذاك أنه مصلحة قومية أو اقتصادية أو سياسية، إلى أن صارت الأيديولوجيات مصدرا للمناورة مع البيئة في اتجاهات وأفعال ضد البيئة، فمن رؤية معينة تصاحب البيئة كما في ميثاق منظمة الخضر إلى رؤية ندية عدائية كما في متطلبات القوة الاقتصادية في سياسة التكتلات الاقتصادية الكبرى المتحكمة في اقتصاديات الأرض.

وفي كل مرحلة تلحظ طابعا مميزا لنمط التفاعل مع البيئة وأدوار وألوان تصرف فردي وجمعي يظهر البعد البيئي في السلوك الإنساني على نحو ما، وقد صارت صورة التفاعل الاجتماعي مع مكونات البيئة أكثر شراسة بعد حركة التصنيع واحتدام التنافس بين الفاعلين على جني الأرباح بأقل التكاليف الممكنة وكأن الأهم هو المنعة والتمكن الاقتصادي هو الأصل ولا تكون البيئة سوى حكم التابع.

وكان من نتائج الفلسفة الاقتصادية الربحية، قيام فلسفة بيئية غايتها حماية الأرض التي تبقى المأوى الطبيعي للإنسان وضمان بقائه وشرط قيامه بوظيفته في تعميرها على أحسن صور النفع، وفي هذا السياق تتسارع الجهود الرسمية و اللارسمية لتكوين الإنسان ليكون عارف بأهمية البيئة وعاملا على صيانتها

ليحفظ نفسه ويديم تنمية مجتمعه الذي هو وسطه الذي يحضن آماله ويواسي أحزانه وآلامه.

وهكذا تسعى منظومات التعليم الرسمية إلى القيام بدور كبير من إعداد مواطن يعرف قيمة البيئة ويعمل على حسن إدارة الحياة بما يضمن للبيئة حقها في البقاء وللمجتمع الانتفاع في حلقات جامعة ومتجددة من العلاقة التي تجمعها بها، فهو ما حرص على تقريره المشرع المدرسي في الجزائر في أكثر من شكل، ففي المنهاج الدراسي تضمين للبعد البيئي تتعدد أهدافه وفق النشاط المدرسي، لكنها تلتقي في غاية نهائية هي كسب المورد التربوي والثقافي الذي يمنح التلميذ التمكن من ممارسة دوره كمواطن صالح لنفسه وصالح لبيئته، وما حقيبة التربية البيئية إلا واحدة من التدابير التربوية التي تخدم الغاية المذكورة، وهي مشروع مشترك بين وزارتي التربية الوطنية وتهيئة الإقليم والبيئة، يعكس الحرص الرسمي على البيئة من خلال تكوين الإنسان.

ويحاول المقال أن يقدم المشروع في ضوء تناول تحليلي ناقد لمضمونه التربوي وما يرتبط به من أساليب ديداكتيكية وفي سياق الوظيفة الاجتماعية والثقافية الممثلة لحاجة المجتمع الجزائري في هذه المرحلة التاريخية المتحركة.

أولا.البيئة موضوع تربوي:

1. التعريف اللغوي للبيئة:

إن كلمة البيئة كلمة مشتقة من الفعل الرباعي بوأ، ويقال لغة تبوأت منزلا بمعنى هيئة ومكنت له فيه[1]، وتشير العديد من المعاجم العربية إلى أن هذا الفعل أستخدم في أكثر من معنى وأكثرها اشتهارا الفعل{يتبوأ} بمعنى نزل وأقام. ومن ثم فالبيئة لغة تعني المنزل وهي ما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما[2].

ويستخدم لفظ البيئة **environnemen**t في اللغة الإنجليزية للدلالة على الظروف المحيطة التي تؤثر على النمو والتنمية، [3].

أما في اللغة الفرنسية فتعرف البيئة**environnemen**t بأنها مجموعة الظروف الطبيعية للمكان من هواء وماء وأرض ومختلف الكائنات الحية المحيطة بالإنسان[4].

- التعريف الاصطلاحي للبيئة:

عرفت البيئة بأنها (كل ما يحيط بالإنسان من عوامل طبيعية أو كيميائية أو بيولوجية أو صناعية تؤثر في الإنسان ويؤثر فيها) [5].

في حين عرف مؤتمر أستكهولم البيئة بأنها(كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والذوق سواء كان هذا من صنع الطبيعة أو من صنع الإنسان) [6].

2. التربية البيئية:

لقد تعددت التعريفات التي تناولت التربية البيئية، كما تعددت نظرة المتخصصين بها ويمكن فيما يلي أن نسوق جملة من التعريفات بغية إعطاء نظرة شاملة لهذا المفهوم.

يعرف إبراهيم مطاوع التربية البيئية بأنها: "عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضاراته بمحيطه الحيوي الفيزيائي" [7].

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعرف التربية البيئية بأنها: "عملية تكوين المهارات والاتجاهات والقيم اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان بمحيطه الحيوي" [8].

أما اللقاني وعلي الجمل فيعرفان التربية بأنها: "مجموعة المعارف والاتجاهات والقيم اللازمة لفهم العلاقة المتبادلة بين المتعلم وبيئته التي يعيش فيها، وتحكم سلوكه إزاءها وتثير ميوله واهتماماته، فيحرص على المحافظة عليها" [9].

وقد ورد تعريف التربية البيئية في مؤتمر تبليسي سنة 1977 بأنها: "عملية إعادة توجيه وربط لمختلف فروع المعرفة والخبرات التربوية بما ييسر الإدراك المتكامل للمشكلات ويتيح القيام بأعمال عقلانية للمشاركة في مسؤولية تجنب المشكلات البيئية والارتقاء بنوعية البيئة" [10].

3. حقيبة التربية البيئية:

وهي عبارة عن حقيبة بيداغوجية تم اعدادها بالاشتراك بين وزارتي التربية الوطنية ووزارة تهيئة الاقليم والبيئة، وتعتبر طبعة 2007 من الحقيبة هي

الطبعة الثالثة والتي تحتوي على ملفين يعتبران كمرجعين مهمين هما : أدلة المربي في التربية البيئية ـــــ حقيبة النادي الأخضر المدرسي.

ثانيا: الاهتمام بالبيئة في الجزائر

تعاني البيئة في الجزائر العديد من المشكلات والإختلالات التي انعكست آثارها على صحة الإنسان والحيوان والنبات، ولعل جزء كبيرا من هذه المشكلات مرجعه إلى المستدمر الفرنسي الذي تفنن في شتى أشكال الاعتداء على البيئة إبان الحقبة الاستعمارية، وتجلت صور اعتداء هذا المحتل الفرنسي على البيئة في الجزائر من خلال تطبيق سياسة الأرض المحروقة، واستنزاف الموارد الطبيعية وتفجير القنبلة النووية برقان وزراعة الألغام، وغيرها من الممارسات المجحفة في حق البيئة و نظامها الايكولوجي في الجزائر.

كما أن الحركة التنموية التي عرفتها الجزائر غداة الاستقلال لم تخل من المشكلات البيئية فبدأت الجزائر على غرار العديد من بلدان العالم تعاني من العديد من مشكلات البيئة حيث عرفت العديد من المدن الحضرية في الجزائر ازدياد كبير في أعداد السكان وفي مقابل زادت متطلبات الحياة فشيدت المؤسسات والمصانع في العديد من المناطق الحضرية، إلا أن إفرازات هذه المصانع السائلة والغازية تسببت في مشكلات بيئية خطيرة لا سيما إذا تعلق الأمر ببعض الولايات الكبرى كالجزائر العاصمة، عنابة، قسنطينة، وهران التي عرفت نسبا كبيرة من التلوث البيئي جراء المخلفات التي تفرزها المصانع في الهواء والماء والتربة.

ويعتبر تلوث الهواء من أخطر المشكلات البيئية التي عرفتها الجزائر خصوصا في المدن الكبرى، فالجزائر العاصمة لوحدها شهدت تركيزا سنويا لمتوسط نسبة الرصاص في الهواء بما يقارب 2مغ/ م^3 ، كما عرفت عنابه نسبة عالية من تلوث الهواء نتيجة الإفرازات الغازية المنبعثة من العديد من الوحدات الصناعية في الولاية وعلى رأسها مركب الحجار للحديد والصلب ومركب إنتاج الأسمدة الفوسفاتية و الآزوتية(أسميدال)[(11)].

لقد فرضت هذه المشكلات البيئية المتزايدة على الدولة الجزائرية إيلاء قضية البيئة ومشكلاتها الاهتمام المطلوب، وتماشيا مع الاعلان الختامي لندوة

الأمم المتحدة حول البيئة المنعقد بأستكهولم في السويد سنة 1972م، سعت الجزائر إلى الاهتمام بالبيئة وتجلى ذلك من خلال انشائها لمؤسسات تتكفل بهذه المهمة أهمها وزارة تهيئة الإقليم والبيئة، وتشريعها لترسانة قوية من القوانين من أجل حماية البيئة مثل قانون حماية البيئة الصادر سنة 1983 وقانون التهيئة العمرانية سنة 1987 وقانون البلدية والولاية سنة 1990 وقانون حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة سنة 2003.

ثالثا: اهتمام المشرع المدرسي الجزائري بقضايا البيئة

البيئة في المناهج التعليمية القديمة كانت تستخدم بمثابة معمل للدراسة والتحصيل فقط وأهملت هذه المناهج دراسة الاطار الفيزيقي والحيوي الذي يتواجد فيه الكائن أو الظاهرة المدروسة، وعلاقته بغيره ومدى تأثره و تأثيره فيهم[12].

وبغية منه إضفاء روح جديدة لقضايا البيئة في المناهج التعليمية في مختلف الاطوار سعى المشرع المدرسي الجزائري جاهدا إلى ادراج البعد البيئي في المنظومة التعليمية التربوية وتطوير أدائها لمسايرة المستجدات ومواكبة المتغيرات التي يشهدها العالم، وتجسد هذا الاهتمام في قيام الجزائر بالعديد من الاصلاحات على المنظومة التربوية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، حيث قامت الدولة بإصلاح شامل للمنظومة التربوية وذلك بإصلاح المناهج التعليمية من حيث المقاربة البيداغوجية والمضامين والتي تمخضت عن اجتماع مجلس الوزراء في أفريل 2002 والتي وافق عليها البرلمان بغرفتيه.

وبغية تنفيذ هذا الاصلاح قرر وزير التربية الوطنية السيد بوبكر بن بوزيد إلغاء القرار رقم 34 المؤرخ في 21 جوان 1998 والمتضمن إنشاء اللجنة الوطنية للمناهج وتعويضه بالقرار المؤرخ في 11 نوفمبر 2002 و الذي تضمن تجديد إنشاء اللجنة الوطنية للمناهج، وقد أسند لهذه اللجنة مهمة التوجيه والتنسيق في مجال المناهج التعليمية كما تتكفل بتقديم الآراء والاقتراحات للوزير حول كل قضية تتعلق بالمناهج التعليمية .

ونظرا لأهمية قضية البيئة وضرورة الحفاظ عليها أدرج المشرع المدرسي في الجزائر اهتمام بالغ بهذه القضية وضمن هذا البعد(البعد البيئي) في المناهج الجديدة، هذا البعد الذي لم يعطى الاهتمام المطلوب الذي أهمل في المناهج القديمة.

رابعا. الحقيبة البيئية كوجه للسياسة التربوية في الجزائر

1. الدواعي والأهداف:

لقد أعطى المشرع المدرسي في الجزائر أهمية لقضية البيئة ومشكلاتها في المناهج الجديدة،حيث عمدت كل من وزارة التربية الوطنية ووزارة البيئة وتهيئة الاقليم إلى تدعيم مسعى التربية البيئية في المناهج الدراسية وهذا في اطار مذكرة الاتفاق الموقعة في 02 أفريل 2002 بين الوزارتين المذكورتين وهذا من أجل تزويد التلاميذ بالتربية البيئية طيلة مسارهم الدراسي وإدراج البعد التكويني في كل المواد الدراسية والتكفل ببعدي التعليم والتربية في آن واحد، وتهدف هذه التربية في تنشئة المواطن وترسيخ ثقافة بيئية في عقول التلاميذ [13].

وقد جاء في كلمة وزير التربية الوطنية بوبكر بن بوزيد في هذا الاطار (قد أدرجت التربية البيئية في المسار الدراسي قصد إثراء مجالات المواد التعليمية وإقامة إطار جديد لنشر المعرفة الصفية و اللاصفية...إذ هذا المسعى يستمد نجاعته من خلال المقاربات البيداغوجية العصرية ويرتكز على تجارب المعلمين والمربين، وتمثل الروابط بين التلاميذ ومحيطهم الطبيعي [14] .

وفي السياق ذاته أكد وزير البيئة والسياحة على أهمية التربية البيئية في، ويقول في هذا السياق: (... وقناعة منا بأن الاستثمار الحقيقي هو الاستثمار في العنصر البشري الذي هو رأس المال الأساسي في أي عملية تغييرية لأنظمة وأشكال الحياة اليومية للمجتمع وتعد في هذا المجال المنظومة التربوية المكان الأنسب لإعداد جيل المستقبل إعداد يكون بموجبه هو العنصر الفعال والفاعل لحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة[15]).

إن هذا المشروع التربوي / البيئي المشترك يهدف إلى تنمية تعليم من شأنه مساعدة الشباب تدريجيا على أن يدركوا بأن الانسان قد اجتاز مرحلة حاسمة في

علاقته بهذا الكوكب من أجل الحفاظ على الانسجام والتوازن مع هذه البيئة، وكذا تنمية التربية البيئية بشكل متزايد كتربية للمواطنة ضمن المنظومة [16].

شهدت سنة 2000 مشروعا جديدا لإدراج التربية البيئية في المدرسة الجزائرية في مختلف الأطوار التعليمية، ويندرج هذا المسعى ضمن سياسة انفتاح المدرسة الجزائرية على الحياة.

وانطلق هذا المشروع بتوقيع بروتوكول مشترك بين وزارتي التربية الوطنية وتهيئة الاقليم والبيئة ويتعلق هذا المشروع بإعطاء بعد بيئي في البرامج التربوية والتعليمية وذلك باحترافية متخصصة بإدخال التربية البيئية والتنمية المستدامة في المنهج الدراسي، ولا يهدف هذا المشروع إلى جلب معارف جديدة بقدر ما يهدف إلى تطوير منهجية جديدة يتجسد فيها التكامل بين المواد الدراسية وتدرج في حسبانها قسطا من الممارسة الميدانية، وتعمل على تنمية روح الاكتشاف والإبداع عند التلميذ(مثال: رسكلة النفايات معالجتها من جديد)، ومن جهة أخرى تعمل بطريقة حل المشكلات وكذا بيداغوجية المشاريع على بناء و تكوين المعارف والمواقف عند التلاميذ والتي من شأنها غرس روح المسؤولية الضرورية لحل المشكلات البيئية بكل تعقيداتها[17].

2. مراحل تجسيد المشروع في المدرسة الجزائرية: وقد شهد تجسيد هذا المشروع مراحل أربعة نفصلها في ما يلي:

المرحلة الأولى (2002 ــ 2003) : وهي مرحلة التجريب والتي تزامنت مع الدخول المدرسي 2002ــ 2003 ، حيث تم تعيين 135 مؤسسة نموذجية موزعة عبر الولايات التالية : أدرار ـ الجزائر ـ باتنة ـ الوادي ـ مستغانم ـ تيارت [18] .

المرحلة الثانية (2004 ـــ 2005): تم خلال هذه المرحلة توسيع التجريب ليشمل كل ولايات الوطن(912 مؤسسة نموذجية).

المرحلة الثالثة (2006 ـــ2008) : وقد شهدت بداية العام الدراسي 2005/ 2006 انطلاق التعميم التدريجي للتربية البيئية ضمن المنهج المدرسي.

المرحلة الرابعة (2008ـ 2009): وتم خلال هذه المرحلة توسيع وتعميم التربية البيئية على مجموع مؤسسات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي .

3. ملف حقيبة التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة

تحتوي حقيبة التربية البيئية على ملفين يعتبران كمرجعين مهمين هما :

أ ـ أدلة المربي في التربية البيئية : هي أدلة جمعت في مصنف واحد بحيث يستطيع أن يرجع إليه كل المعلمين ويقومون بإجراء تشاور فيما بين المواد في مختلف مراحل التعليم.

ب. حقيبة النادي الأخضر المدرسي : وتحتوي هذه الحقيبة على ما يلي[19]:

ـ الدليل البيداغوجي للمعلم ـ بطاقات التحضير للمعلم ـ الميثاق المدرسي البيئي ـ دفتر الميدان للمنخرط.

قراءة في مضمون دليل المعلم :

لقد سعى المشرع المدرسي من خلال هذه الحقيبة وخاصة أدلة المعلم في التربية البيئية في الطور الابتدائي، إلى تجاوز ذلك الخلل الذي كان موجودا في المواد الدراسية في الطور الابتدائي، والتي ركزت أساسا على الجانب المعرفي بتركيزها على إكساب التلميذ معارف ذات الصلة بالبيئة متعلقة بالموضوعات المقررة في مختلف المواد الدراسية، مثل كتاب التربية المدنية في السنة أولى ابتدائي الذي تضمن بعض المواضيع البيئية (العناية بالقسم والحي والآخرين المركز الصحي) وكتاب التربية الإسلامية التي تضمن مواضيع تتعلق بنظافة اللباس والجسم والمدرسة والمنزل والشارع وغيرها، كذلك كتاب القراءة الذي تضمن مواضيع تتعلق بالبيئة مثل الصحراء والمزرعة وجني البرتقال وغيرها، وكتاب دراسة الوسط في السنة الرابعة أساسي الذي تضمن بعض المواضيع البيئية مثل التربية، الماء في الطبيعة، الغابات ودورة الحياة عند الحيوان والنبات وغيرها.

تسعى هذه الحقيبة البيئية إيلاء الجانبان الوجداني و المهاري أهمية في تدريس التربية البيئية وتجاوز الطريقة التقليدية المتمثلة في التلقين والحوار والمناقشة دون الاهتمام بالنشاطات البيئية العملية التي تكسب التلاميذ المهارات والسلوكيات الايجابية تجاه البيئة إضافة إلى الاعتماد على الأنشطة اللاصفية بدل الاقتصار فقط على الأنشطة التعليمية الصفية، وهذا من شأنه أن يكسب التلميذ القيم البيئية الايجابية في شكل أنشطة صفية ولاصفية داخل المدرسة، هذه القيم

الإيجابية التي سيتطبع بها التلميذ في حياته الاجتماعية خارج المدرسة وتكون لديه اتجاهات ايجابية نحو البيئة ونظامها.

لقد سعى المشرع المدرسي من خلال هذه الحقيبة انتهاج أفضل منهجيات تدريس التربية البيئية، والتنويع بين هذه الاستراتيجيات حسب الأهداف المسطرة في المجالات الثلاثة: المعرفية والوجدانية و المهارية وذلك حتى تضمن تحقيق الوعي الفكري والبيئي بقضايا البيئة ومشكلاتها عند التلاميذ، وضمان التدريب المباشر لهم على اتقان المهارات المطلوبة في معالجة المواضيع البيئية، ومن بين تلك الاستراتيجيات التي أدرجها المشرع المدرسي بيداغوجية المشروع، وبيداغوجية حل المشكلات، وبيداغوجية التكوين البيئي والمقاربة النسقية، غير أن الأدلة البيئية الموجهة للمعلمين لم تتضمن شرحا لطريقة وخطوات تطبيق البيداغوجيتين الأخيرتين واكتفى المشرع المدرسي بتعريفها وذكر أهميتها،الأمر الذي يجعلها غامضة وصعبة التطبيق من قبل المربي (المعلم).

كما تضمن دليل المربي في التربية البيئية للتعليم الابتدائي نماذج لبعض البطاقات البيداغوجية ــ التربوية التي قدمت للمنشط/ المعلم من أجل الاستفادة منها وتطبيقها، أو أن ينسج على منوالها ويكيفها حسب محيطه المعيشي لتقديم أنشطة بيئية هادفة للتلميذ في هذه المرحلة علما أن هذه البطاقات تتماشى والبيداغوجيات والأساليب المقترحة سابقا.

لقد تضمن هذا الدليل الخاص بالمربي للتعليم الابتدائي ستة بطاقات، تمثلت الأولى في بطاقة فنية حول الماء وفق بيداغوجية حل المشكلات، والثانية بطاقة فنية حول الماء وفق بيداغوجية المشروع، أما البطاقة الثالثة فقد تمثلت في بطاقة خاصة بالنفايات وفق بيداغوجية المقاربة النسقية، في حين تضمنت الرابعة بطاقة حول النفايات بطاقة خرجة دراسية وتضمنت البطاقة الخامسة موضوع الحرائق، وقد تضمنت البطاقة الأخيرة موضوع الزلازل.

إن ما يمكن ملاحظته من خلال هذا الدليل هو تركيز المشرع فيه على انتهاج أفضل الاستراتيجيات التي يمكن للمعلم تطبيقها مع التلاميذ بغية الوصول إلى أفضل النتائج في مجال التربية البيئية، غير أن المشرع المدرسي تطرق الى مشكلة

نادرة الحدوث في البيئة على المستوى الوطني كالزلازل، في المقابل أهمل بعض المشكلات البيئية المهمة التي من المفترض أن يخصص لها حيزا في البطاقات الفنية التربوية التي تم ادراجها في الدليل ولعل من بين تلك المشكلات مشكلة تلوث الهواء والتصحر والتلوث الضوضائي والصحة العامة وغيرها من المشكلات البيئية الخطيرة التي باتت تهدد صحة وبيئة الإنسان، وهي ذات صلة مباشرة بالتلميذ في الجزائر على اعتبار أن الهدف الرئيس من التعليم في المدرسة الجزائرية هو تنشئة الفرد ليكون مواطنا ايجابيا وصالحا في المجتمع.

وفيما يتعلق بدليل المربي الخاص بالتعليم المتوسط، فقد سعى من خلاله المشرع المدرسي هو الآخر تجاوز التناول القديم لقضايا البيئة الذي كان يتم في مختلف المواد التعليمية التي يدرسها التلميذ في هذا الطور، مثل مادة العلوم الطبيعية التي تتضمن بعض الموضوعات البيئية مثل التوازن البيولوجي، دورة حياة النباتات، الصحة والوقاية، علاقة الكائن الحيواني والنباتي ببيئته وغيرها، كما تناولت مادة التربية المدنية مواضيع تتعلق بالبيئة مثل الصحة والوقاية، الماء والزراعة، الأوساط البيئية في الجزائر، التنوع البيئي، سن قانون بيئي، الأيام البيئية العالمية وغيرها من المواضيع.

إن أبرز ما ميز الطريقة القديمة في تدريس قضايا البيئة في مختلف المواد التعليمية هو ان القليل من المحاور التي تكلمت عن المشكلات البيئية في هذا المستوى،إضافة إلى أن العملية التعليمية في هذه الطريقة القديمة اقتصرت على اكساب المتعلمين معارف ذات علاقة بمفاهيم بيئية دون توظيفها، وانعدام التنسيق بين مختلف المواد التعليمية، لذا سعت هذه الحقيبة البيئية من خلال الادلة الموجهة للمعلم في هذا الطور إلى تمكين التلاميذ من الحصول على الخبرات والمعلومات والمهارات والاتجاهات، ومن ثم فإن التلاميذ يقومون بمشاهدة بيئتهم بقصد الدراسة والتأمل، وجمع البيانات والمعلومات، والتحري عن بعض الحقائق، وهذا ما يجعل ما يتلقاه التلميذ أكثر رسوخا في ذهنه، ويمكن للمعلم أن يجعل مشكلات الوسط المحيط بالمدرسة موضوعا لتدريسه، مثلا الأمراض المتنقلة عن طريق المياه، تدني المساحات الزراعية، زحف التصحر، هذه المشكلات وغيرها يمكن أن تكون

موضوع الدروس التي يساهم التلاميذ فيها مساهمة كبيرة، وهذا من شأنه أن يزيد وعيهم بهذه المشكلات والقضايا البيئية ومحاولة ايجاد حلول لها [20].

وقد أدرج المشرع المدرسي في هذا الدليل الخاص بالتعليم المتوسط عدة منهجيات لتدريس التربية البيئية، والتنويع بين هذه الاستراتيجيات حسب الأهداف المسطرة في المجالات الثلاثة: المعرفية والوجدانية والمهارية، وذلك حتى تضمن تحقيق الوعي الفكري والبيئي بقضايا البيئة ومشكلاتها عند التلاميذ، وضمان التدريب المباشر لهم على اتقان المهارات المطلوبة في معالجة المواضيع البيئية، ومن بين تلك الاستراتيجيات التي تم التطرق لها هي بيداغوجية المشروع التي يهدف من خلالها المشرع المدرسي إلى جعل التلميذ يتعرف أكثر على الحياة النباتية والحيوانية (الوسط الحي) وفهم العلاقات بين الكائنات الحية والأوساط المختلفة، وفي الجانب المهاري تسعى هذه البيداغوجية إلى تنمية قدرة التلميذ إلى استعمال الوسائل والتقنيات، كما تهدف هذه الاستراتيجية التربوية إلى اكساب المتعلم سلوكيات جديدة واحترام الحياة والبيئة[21].

وإضافة الى هذه الاستراتيجية تطرق المشرع المدرسي في هذا الدليل إلى استراتيجية التكوين البيئي / الايكولوجي هذه البيداغوجية التي تنطلق أساسا من التكوين على الوسط (البيئة)، وفي الوسط حيث توجد تفاعلات لا حصر لها بين الانسان وبيئته، فهذه الاستراتيجية تعمل انطلاقا من علاقتنا بالعالم واعتمادا عليها.

تنطلق بيداغوجية التكوين البيئي أساسا على مجموعة من التناوبات، تناوب بين الرؤية الموضوعية للأشياء والرؤية الذاتية، وتناوب بين الرؤية الفكرية والرؤية التخيلية، وتناوب ثالث بين المعارف والسماح باللعب، هذا التناول بين الواقع (الحقيقة) والخيال هو الذي ينمي لدى التلميذ علاقة بيئة_ منطق (Ecologique) هذه العلاقة التي اختلت واختفت في الوقت الحالي وهي سبب كل مشكلات البيئة [22] .

لقد تضمن هذا الدليل الخاص بالمربي ثمانية بطاقات بيداغوجية ـــ تربوية، حيث كانت البطاقة الأولى تتعلق بالماء، حيث حدد المشرع المدرسي في هذه

البطاقة الأهداف الوجدانية والمهارية والمعرفية التي يسعى لتحقيقها من خلال هذا النشاط، ثم قام بتوظيف وتطبيق البيداغوجيات السابقة (المشروع، التكوين البيئي،المقاربة النسقية) في هذا النشاط، كما تضمن الدليل بطاقة تقنية نموذجية تتعلق بالماء واستعمالاته مطبقا في هذه البطاقة أيضا كل البيداغوجيات السابقة، وتضمن الدليل ثلاث بطاقات بيداغوجية أخرى تتعلق بالماء حيث كانت الأولى تدور حول موضوع الماء ضروري للحياة مبرزا المشرع تلك التصورات باستغلال الصور، في حين دار موضوع الثانية حول الماء ضروري للحياة مبرزا ذلك بواسطة أسئلة، وكانت الثالثة نموذج للبطاقة.

وتضمن الدليل الخاص بالمعلم في هذا الطور ثلاث بطاقات بيداغوجية أخرى، تعلقت الأولى بالنفايات، والثانية بالحرائق، والأخيرة كانت حول الزلازل، وقد سعى المشرع المدرسي في كل نشاط من الانشطة التي تضمنتها هذه البطاقات أن يطبق البيداغوجيات التدريسية الثلاثة التي ذكرها في أول الدليل، غير أن الملاحظ من خلال هذه الانشطة والاستراتيجيات المنتهجة أن المشرع لم يوضح خطوات تطبيق كل من بيداغوجية التكوين البيئي والمقاربة النسقية في هذه الانشطة المقترحة، مع العلم أن المعلم لم يتلقى تكوينا على هذه الحقائب وأغلبهم يجهلون تفاصيلها وكيفية تطبيقها مع التلاميذ، ثم أنه يسجل قصورا في البطاقات التي اقترحها المشرع لأنشطة بيئية حيث نجده يقتصر فقط على تطبيق هذه البيداغوجيات في انشطة محدودة (الماء، النفايات، الحرائق، الزلازل)، ولم يتطرق إلى بعض المشكلات الأخرى الأكثر خطورة وأهمية كتلوث الهواء مثلا.

أما فيما يتعلق بالدليل الخاص بالمربي في التربية البيئية في الطور الثانوي فقد جاء لتجاوز الوضعية القديمة في تدريس التربية البيئية في المواد الدراسية، فرغم غزارة هذه المواد بالموضوعات والمحاور البيئية بشكل عام والمشكلات البيئية بشكل خاص إلا أنها تبقى تقدم بشكل اعلامي كلاسيكي فقط، معتمدة على التحليل في بعض الاحيان وتهمل العناصر الأساسية في التربية البيئية، والمتمثلة في مشاركة كل أفراد الأسرة التربوية كالمعلمين والمسيرين و التلاميذ في حل المشكلات البيئية[23].

فقد تضمنت المواد الدراسية في التعليم الثانوي موضوعات تتعلق بالبيئة وبقضاياها فمثلا تضمنت مادة الأدب والنصوص مواضيع ذات علاقة بالبيئة مثل الجبال، الأرض السهول، الماء، النبات، الطبيعة وغيرها من الموضوعات، كما تضمنت مادة العلوم الطبيعية موضوعات بيئية مثل التربية، الغطاء النباتي،الإنسان والبيئة، مشاكل البيئة، مكافحة التلوث (الهواء والتربة،والماء) ..الخ ، كذلك نجد في مادة التربية الاسلامية مواضيع حول الطبيعة والماء، إزالة النفايات، الغابة، الدفاع عن البيئة، الطهارة، تلوث مياه الأنهار وغيرها.

غير أن تقديم هده المواضيع البيئية في هذه المواد كان يتم بطريقة يطغى عليها الإلقاء وهذا ما يقلل من تنمية قدرات التلاميذ مهاراتهم في حل المشكلات البيئية التي تعترضهم في محيطهم، لهذا حاول المشرع المدرسي من خلال هذه الحقيبة وهذه الأدلة التربوية تجاوز هذه النقائص وإتاحة الفرصة لمشاركة جميع الأطراف في حل المشكلات البيئية.

وقد أدرج المشرع المدرسي في هذه الأدلة مجموعة من الاستراتيجيات والبيداغوجيات التي من شأنها تحقيق الأهداف المنشودة من التربية البيئية، ولعل أهم تلك البيداغوجيات هي بيداغوجية المشروع التي يسعى المشرع من تطبيقها في هذه المرحلة التعليمية، القيام بعمل جماعي يضمن اكتساب التلاميذ قبل وأثناء وبعد انجازه مجموعة من المعارف والسلوكيات والمهارات في مجال البيئة والحفاظ عليها، وهي استراتيجية فعالة في تلقين القيم البيئية أفضل من الطريقة التقليدية التي كانت تقدم بها هذه المواضيع والقيم البيئية.

كما تطرق المشرع المدرسي في هذا الدليل إلى بيداغوجية التكوين البيئي والتحليل النسقي، غير أن تقديم هذين البيداغوجيتين لم يتم بشكل واضح وشرح مفصل لها وللخطوات التي سيتبعها المعلم وبقيت غامضة، حيث اكتفى المشرع المدرسي بتعريفها والأهداف التي تسعى اليها فقط مما يجعلها صعبة التطبيق بالنسبة للمعلم الذي لم يتلقى تكوينا يتعلق بهذا الأمر وأشار المشرع المدرسي أيضا إلى طريقة حل المشكلات ودورها في التربية البيئية في هذه المرحلة ووضح المشرع الخطوات اللازمة لتطبيق هذه الاستراتيجية.

وقد أدرج المشرع المدرسي في هذا الدليل الخاص بالطور الثانوي مجموعة من البطاقات التي دارت موضوعاتها حول ثلاث محاور أساسية هي : الماء، النفايات، والحرائق، حيث تناول الدليل في كل محور ثلاث بطاقات لأنشطة بيئية، وقد برر المشرع المدرسي في هذا الدليل سبب اختياره لهذه الأنشطة والمشكلات البيئية دون غيرها على الرغم من البيئة تعاني عديد المشكلات الخطيرة كالتلوث، حث ارجع المشرع سبب ذلك لأن أزمة الماء حادة وهذا لا يدعو للتعليل، وأن النفايات تغزو أحياءنا في المدن والريف على حد السواء، أما الحرائق فقد أتت على كل أخضر ويابس، كما وعد المشرع المدرسي أن الأدلة اللاحقة للتربية البيئية ستتضمن محاور وموضوعات بيئية أخرى.

عموما ما يمكن ملاحظته من خلال هذه الأدلة التي تضمنتها هذه الحقيبة البيئية هو رغبة المشرع المدرسي لتسليط اهتمام اكبر بقضية البيئة ومشكلاتها خصوصا في التربية والتعليم داخل المدرسة على اعتبار ان المدرسة هي من المؤسسات المهمة والأولى بعد الاسرة المسؤولة عن المحافظة على البيئة، عن طريق تكوين جيل من الأفراد متشبع بقيم الحفاظ على البيئة ويعمل جاهدا على حل مشكلاتها، غير أن هذه الأدلة افتقدت لبعض الوضوح في بعض النقاط خاصة ما تعلق الأمر بالاستراتيجيات المقترحة لتعليم الانشطة البيئية التي كانت غامضة، ولم يوضح المشرع المدرسي خطوات هذه الطرائق وتركت لاجتهاد المعلم كما أنه يعاب على هذه الادلة أن الانشطة البيداغوجية المقترحة تمحورت حول بعض المشكلات وأهملت اخرى مهمة كالتلوث البيئي ولم يقدم أي تبرير لذلك، ما عدا في دليل المربي في التعليم الثانوي أين برر المشرع سبب اختياره لهذه المشكلات والأنشطة البيئية دون غيرها، عموما تبقى هذه الأدلة بمثابة خطوة جادة ورسمية من الوزارات الحكومية تجاه خلق وعي بيئي لدى أفراد المجتمع .

الخاتمة:

أظهرت الدراسة الانشغال البيئي في نظام التعليم الرسمي، وهو الذي يعكس حرصا على حماية البيئة من التهالك الناتج عن عوامل عديدة قارضة، أهمها ضعف الوعي البيئي العام بخطورة الافساد للبيئة سواء كان مصدره الأفراد أو هيئات غير مبالية مما يضيف حملا زائدا من الآثار غير المرغوبة على الأرض والثروات التي تبطنها أو تظهرها.

كما يمكن تسجيل السبق الرسمي للعناية بالبيئة باعتباره من السياسة البيئية التي عليها أن تقود المجتمع المدني الذي لا يلحظ نشاطه إلا قليلا في صورة مناسباتية ليست ذات فعالية كافية رغم أهمية الدور الذي تؤديه على ضعفه وقلة تأثيره ذلك لأن العمق الاجتماعي يظل في مركز المجتمع المدني وعيا وعملا، يقظة ونهضة، ذلك لأنه أقدر على تحريك عوامل النجاح في حماية البيئة وفي حسن استعماله مما يكون له عظيم الأثر على أي تنمية مستدامة.

وهكذا فتكوين الانسان تكوينا بيئيا أدخل المدرسة كفاعل تربوي لا غنى عنه، فهي الوسط الذي تتشكل فيها شخصية مواطن الغد، فإن هي نجحت في تطوير تدريس التربية البيئية على نحو من الديداكتيك المرن والعملي كان لمخرجاتها ما يصون البيئة ويحفظ خيراتها للأجيال المتعاقبة، ويجعل الحياة منسجمة بين الانسان والأرض، فيزهو بالخيرات التي تهبها له ضمن انماط تفاعل لا تهدر الثروة في اكثر الحالات استخداما لها في بيئة رديفة للبيئة الطبيعية، سواء كانت بيئة صناعية واجتماعية ـ ثقافية، وليس من هدف للحقيبة البيئية سوى جعل حلقات الحياة الاجتماعية في تفاعلها مع منظومة البيئة الطبيعية يشد بعضها بعضا في حركة دينامية متجددة ضمن ثابتة هي مدار يجعل الكل يؤثر ويتأثر بالآخر، يحفظه ولا يلغيه، يخدمه ويتلقى منه مقومات البقاء والاستمرار، ولذلك فإن المضمون العلمي للحقيبة إسهام في تشكيل الوعي العلمي، والمضمون الاجتماعي والثقافي هو دور اجتماعي من شأنه إحياء الثقافة البيئية للمجتمع في صورتها التراثية بعد مزاوجتها بنتائج العلم ومستجدات المعرفة في المجال البيئي، ويكون من هكذا تزاوج تلاقح مفيد للإنسان والبيئة على السواء.

❖ هوامش البحث:

(1) إحسان علي محاسنة:**البيئة والصحة العامة**، درا الشروق للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1999، ص.17

(2) مجمع اللغة العربية:المعجم الوجيز،القاهرة،مصر،1990، ص.354

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة

(5) السيد الجميلي:**الإسلام والبيئة دراسة علمية إسلامية طبية**، مركز الكتاب للنشر،الطبعة الأولى،القاهرة،1997، ص.14

(6) محمد صالح الشيخ: **الآثار الإقتصادية والمالية لتلوث البيئة ووسائل الحماية منها دار الإشعاع القانوني**،2002، ص.17

(7) إبراهيم مطاوع: **التربية البيئية**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الأهرام، مصر 2005، ص15.

(8) الجبان رياض: **التربية البيئية مشكلات وحلول**، دمشق، دار الفكر 2000، ص11.

(9) أحمد حسين اللقاني، علي أحمد الجمل: **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المنهاج وطرق التدريس**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1999، ص67.

(10) سعد الدين محمد منير: **التلوث الضوضائي والتربية البيئية**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص33.

(11) وزارة تهيئة الإقليم والبيئة: **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر**، 2000، ص:58

(12) بلعيد جمعة، **دور مدارس التعليم الإبتدائي والمتوسط في التربية البيئية**، رسالة ماجستير، قسم علم الإجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/ 2011، ص 181.

(13) بوبكر بن بوزيد، **اصلاح التربية في الجزائر رهانات وانجازات**، دار القصبة الجزائر، 2010 ،ص 101.

(14) وزارة التربية الوطنية، **وزارة التهيئة العمرانية والبيئة والسياحة، دليل المربي في التربية البيئية التعليم الابتدائي**، الجزائر، 2007، الطبعة الثالثة، ص 2.

(15) المرجع السابق، ص3.

(16) وزارة التربية الوطنية، وزارة التهيئة العمرانية والبيئة والسياحة، حقيبة النادي الأخضر المدرسي، دار الحقائق، الجزائر، 2007 الطبعة الثالثة، ص 2.

(17) بوبكر بن بوزيد، مرجع سبق ذكره، ص 102.

(18) المرجع السابق، ص ص 102.103.

(19) وزارة التربية الوطنية، وزارة التهيئة العمرانية والبيئة والسياحة، حقيبة النادي الأخضر المدرسي ، مرجع سابق.

(20) وزارة التربية الوطنية، **وزارة التهيئة العمرانية، البيئة والسياحة**، دليل المربي في التربية البيئية التعليم المتوسط، 2007، الطبعة الثالثة، ص 12

(21) المرجع السابق، ص15.

(22) المرجع السابق، ص 20.

(23) وزارة التربية الوطنية، وزارة التهيئة العمرانية، البيئة والسياحة، دليل المربي في التربية البيئية التعليم الثانوي ، 2007 ، الطبعة الثالثة، ص 11.